@ 86 @ $ بسم ا الرحمن الرحيم $ (^ الحمد الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا) * * * * .

قوله - تعالى - : (^ الحمد الذي خلق السموات والأرض) حكي عن كعب الأحبار أنه قال : هذه الآية أول آية في التوراة ، وآخر آية في التوراة : قوله - تعالى - : (^ وقل الحمد الذي لم يتخذ ولدا) الآية . .

فقوله : (^ الحمد) معناه : احمدوا ا ، ذكر الخبر بمعنى الأمر ، وفائدته : الأمر بالحمد وتعليم الحمد ؛ فإنه لو قال : احمدوا ا ؛ دعت الحاجة إلى بيان كيفية الحمد ، وقوله : (^ الذي خلق السموات والأرض) إنما خصهما بالذكر ؛ لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد ؛ ولأن فيهما العبر والمنافع للعباد . .

(^ وجعل الظلمات والنور) والجعل : بمعنى الخلق ، ثم اختلفوا ، قال بعضهم : الظلمات : الليل ، والنور : النهار ، وقال بعضهم : أراد بالظلمات : الكفر ، وبالنور : الإيمان ، ويدخل في الظلمات جميع الظلمات ، حتى ظلمة القلب ، وظلمة الشك ، ونحو ذلك . .

ويدخل في النور جميع الأنوار ، حتى نور القلب ، ونور اليقين ، ونحو ذلك ، وقيل : أراد بالظلمات : الجهل ، وبالنور : العلم ، وقيل : أراد بالظلمات : المعصية ، وبالنور : الطاعة . .

وروى عن قتادة أنه قال : إن ا - تعالى - خلق السماء قبل الأرض ، والليل قبل النهار ، والجنة قبل النار ، وقد قال غيره : خلق الأرض قبل السماء ، وسيأتي . .

(^ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) قال الكسائي : عدل الشيء بالشيء : إذا ساواه به ، ومنه العدل . ومعناه : يعدلون با غير ا ، وقال مجاهد : معناه : ثم الذين كفروا بربهم يشركون ، والمعنيان متقاربان ؛ لأن من ساوى غير ا با ؛ فقد أشرك . وقيل : قوله : (^ ثم الذين كفروا) معنى لطيف ، وهو مثل قول القائل : أنعمت عليك كذا ، وتفضلت عليك بكذا ثم لا تشكرني ، ثم تكفر بنعمتي .